بـسم الله الرحمن الرحيــم

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

المقياس: التاريخ الاقتصادي

المستوى: السنة الأولى ماستر /تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي.

1- المحور الأول: وضعية الأرض وأشكال الملكية. تم تدريسه

2- المحور الثاني: الضرائب (الخراج والعشر).تم تدريسه

المحاور 3+4+5:

الزراعة+الإنتاج الزراعي+ الري

الزراعة قبل الإسلام:

يعد النشاط الزراعي من أهم انشغالات الإنسان لأنه مرتبط بحياته ومتطلبات عيشه لذلك فاهتمام الإنسان العربي بأمور الزراعة وتوفير العوامل المساعدة على تنميتها وازدهارها لا يعد استثناء أو تميزا فكل الأمم أولت أهمية مناسبة لفلاحة الأرض وزراعتها من أجل تأمين غذائها ومن ثم استمرار بقائها.

لذا فقد نشط سكان الجزيرة العربية قبل الإسلام في هذا المجال من خلال توفير ما يحتاجه النشاط الزراعي من متطلبات الري الاصطناعي ،لأن سقي المزروعات لا يمكن أن يقتصر على العامل الطبيعي، وذلك يرجع الى طبيعة المناخ وقساوته ،فحفروا الآبار والوديان مستغلين أراضي الواحات ومناطق السهول الساحلية لاستخراج المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض و إقامة الحواجز و السدود المائية (barrages d'eau)في الأماكن التي

تجتمع بها مياه الأمطار في الأودية والمنخفضات من أجل استغلالها في عمليات السقي ،سيما المزروعات التي تقوم بالأساس على الري في الحقول والبساتين.

لذلك فقد استخدموا المياه التي يتم تجميعا كخزانات احتياطية لاستخدامها للسقي في الأوقات المناسبة وتوزيعها وفق معايير حسابية دقيقة على المزارعين مع مراعاة منسوب التوزيع الذي يتحصلون عليه، فقاموا بمد قنوات ومجاري مائية (canaux d'eau) يتم من خلالها توصيل مياه السدود والآبار والينابيع إلى أماكن المزروعات والحقول والبساتين.

كما اهتموا بعملية استصلاح الأرض وتهيئتها بسبب الانجراف والعوائق الصخرية أو الملح أو تهيئة الأراضي البركانية فقد أنشأوا المدرجات والمصاطب على سفوح الجبال لمكافحة انزلاقات التربة وانجرافها، ففي يثرب فقد كانت بها الرواسب البركانية والطبيعية من جراء السيول التي استعملت كواحات لزراعة النخيل والشعير.

فقد كانت يثرب واحة خصبة بسبب وفرة المياه للسقي فقد كانت الأودية تجري إليها من ثلاثة جهات شرقا وجنوبا وغربا فتتجمع شمالا، فكانت تربتها تشكل خصوبة ملائمة لنمو المزروعات، من أجل ذلك كانت يثرب محل جذب للهجرات المتتالية الى غاية الأوس والخزرج التي هاجرت بحثا عن أرض مناسبة للاستقرار بها، لذلك كانت الزراعة من أهم الأنشطة المهنية الرئيسية التي مارسها أهل يثرب.

كذا الحال بالنسبة لليمن التي عرفت في كتب الجغرافيين العرب ببلاد العرب السعيدة أو الخضراء وذلك لما كانت تحوز عليه من المزارع والنخيل والأشجار المثمرة والمراعي الخضراء والمياه المتدفقة، وحيازتها على سد مأرب الذي يعد من أشهر السدود في تاريخ اليمن والجزيرة العربية مما أدى الى ازدهار الزراعة في سبأ كما اشتهرت أيضا في مجال الزراعة كل من حضرموت وظفار والطائف وغيرها من بلاد العرب.

أولا- الزراعة في صدر الإسلام

-العصر النبوي و الراشدي:

بمجيء الإسلام تأكدت اهتمامات العرب المسلمين بالزراعة وشؤونها لما تضمنه من حث عليها وعلى خدمة الأرض من خلال نصوصه في القرآن الكريم والسنة النبويةفقد جاء في

قول الله تعالى"هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (*) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون(*)"النحل 11/10

وقوله:" وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (*) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (*) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ" يس 34/33.

وقوله" وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً أَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ" الأنعام 99 وغيرها من نصوص القرآن الكريم التي تضمنت الحث على استثمار الأرض بالزراعة والغرس ونحوه.

فقد جاء في قوله: (من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه، فإنْ أَبَى فليمسك أرضه)وفيه افادة بضرورة زرع الأرض أو بذلها لمن أراد ذلك.

ولأهمية الزراعة وفلاحة الأرض أعطى الإسلام لذلك أهمية خاصة فجعل منها عبادة يتقرب بها العبد الى ربه فقال عليه السلام (ما من مسلم يزرع زرعًا أو يغرس غرسًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة؛ إلاَّ كان له به صدقة).

ومن حرصه على بذل الجهد والوسع في الزراعة والغرس حذر من التهاون والغفلة عن هذا النشاط الاقتصادي المهم للدولة الإسلامية ومجتمعها أن قال(إنْ قامت السَّاعة وفي يد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقومَ حتَّى يغرسها، فليغرسها؛ فله بذلك أجر)

وغيرها من الأحاديث والمرويات الكثيرة في هذا المضمون التي تحث على الاهتمام بالزراعة من أجل إيجاد مجال من مجالات الرزق ودعم اقتصاد الدولة الإسلامية سيما وأنها تتكفل بشكل مباشر بتحقيق ما يحتاجه المجتمع المسلم من الغذاء كما أن المنتوجات الزراعية تعد المادة الأولية الأساسية لكثير من الصناعات كالنسيج والخشب وغيرها كما تعد قطاعا استراتيجيا لتحقيق الأمن الغذائي للدولة.

ومن مظاهر الاهتمام بالزراعة في دولة النبي عليه السلام الدعوة الى احياء الأرض الموات تشجيعا على زيادة ملكيات الأراضي الصالحة للزراعة الى قد تستطيع الدولة استيعاب التعداد البشري في المدينة بعد هجرة المهاجرين من مكة اليها وتمكينهم من إيجاد مجال للسعي والتكسب الى جانب المجالات الأخرى كالتجارة والحرف وغيرها فقال(من أحيا أرضاً فله فيها أجر، وما أكله العوافي –الوحوش والسباع والطير والناس-منها فهي له صدقة).

وكذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من الحض على الاشتغال بالغرس والزرع والعمل في الأرض وإحياء الموات منها وعدم تركها بورا وجعل من استصلاحها وحيازتها سببا للتملك وبيّن منافعها وأهميتها للكسب والسعي، وتعميرها وجعلها صالحة للزراعة أو الانتفاع بها ولو بغير زراعة بتهيئتها وإزالة العوائق التي تحول دون ذلك كإزالة الماء عنها إن كانت مغمورة ومنعه عنها من خلال إقامة سدود صرف، أو جلب الماء إليها إن كانت منقطعة عنه بشق المجاري والقنوات وحفر الترع والآبار، أو إزالة الملح عنها إن كانت سبخة، فإن لم يتمكن من كل هذه الأحوال اتخذها مخزنا بالبناء عليها والانتفاع بها بأي شكل من الإشكال وألا تترك هكذا من غير انتفاع.

كما جعل النبي صلى الله عليه وسلم ضوابط وعلامات تثبت حيازة الأرض فأقر التحجير وهو أن يتخذ حائطا على الأرض أو أن يضرب عليها الأعلام والمنار لتحديد حيازتها، وقد حدد مدة التحجير بثلاث سنوات يفقد فيها الحائز حقه فيها إذا لم يقم بإصلاحها وتعميرها خلال مدة التحجير، وقد جاء في الحديث (من أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنوات)

فكانت الزراعة من أهم المجالات لعمل المهاجرين الذين كان أغلبهم من الفقراء المعدمين الذين وضعت سياسة النبي صلى الله عليه وسلم إجراءات لا دماجهم مع إخوانهم في الدين والوطن في المدينة من خلال وثيقة المدينة التي كانت المآخاة بين المهاجرين والأنصار من أهم بنودها وقد تضمنت هذه المآخاة المشاركة المؤثرة التي ابداها الأنصار تجاه إخوانهم المؤمنين من مهاجري مكة وقد تدعمت هذه المآخاة بأحكام شرعية تقوي من آصرتها كحكم التوارث بين المهاجرين والأنصار الذي لم يلغ إلا بنص شرعي.

لذلك استجابة لهذه السياسة النبوية فقد شارك بعض الأنصار إخوانهم المهاجرين في أرضهم فعملوا معهم في بساتينهم وتعاونوا في العمل الزراعي وقد جاء في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يكرس ويدعم هذا الاتجاه الاقتصادي والاجتماعي فقد نهى في الأيام الأولى أن تؤجر بل دعا أصحابها إذا لم يقوموا بزراعتها والعمل بها أن يمنحوها لإخوانهم (إذا كانت لأحدكم أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه، ولا يكرها بثلث ولا ربع ولا طعام مسمى) وقد كان هذا المنع مؤقتا لكن بعد أن وطن المهاجرون أنفسهم بالمدينة من خلال مشاركتهم في نشاط التجارة وبعض الحرف وغيرها أبيح أمر استئجار الأرض وقد وردت مرويات تؤكد ذلك، كما أكدت سياسة النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتناء بالأراضي الزراعية واستثمارها واستخراج خيراتها.

وقد ترجمت هذه السياسة فيما بعد من خلال مرافقة الدولة للمزارعين وإعانتهم في وسائل الري، فقد شاركت الدولة بإنشاء قنوات الري وبناء السدود ورأب صدوع سور الأنهار وغيرها.

ومن اهتمامات النبي عليه السلام بشأن الزراعة متابعته لشؤونها من خلال الفصل في المنازعات التي تتعلق بها من مشاكل الخلافات التي قد تحدث بسبب الاستحواذ على الماء أو الاعتداء على المزروعات بإتلاف أو الاعتداء بتغيير حدود الأرض بعد تعليمها وغيره.

من مظاهر ذلك ما أخبرتنا به المرويات عن مالك بن أنس أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط قوم فأفسدته فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل الأموال حفظها بالنهار وما أفسدته بالليل فهو مضمون عليهم،أي على أصحاب الزروع حفظها بالحراسة في النهار، وعلى أصحاب الدواب حفظ دوابهم بالليل.

كما شدد النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الاعتداء على حدود أرض الغير المجاورة فقال (لعن الله من غير منار الأرض).

كما فصل أيضا في بعض الخصومات التي تتعلق بالأراضي المجاورة لبعضها فقد ورد أن الزبير بن العوام كانت له أرضا متاخمة لجار له فرفض جاره أن يجلب الزبير لها الماء مرورا بأرضه ليتمكن من سقي زرعه، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بجر الماء في

أرض ذلك الرجل ولو من غير رضاه لما في ذلك من الضرر الذي يلحق بأرض الزبير ووجوب دفعه.

ومن تشجيعه وحثه على الاستمرار في زراعة الأرض وعدم تركها حتى في حالة إصابتها بالجوائح والآفات حفاظا على استمرار الإنتاج مهما قل لتحقيق الحد الأدنى من التأمين الغذائي قوله (ما من شيء يصيب زرع أحدكم من العوافي إلا يكتب له به أجر).

وقد أدرك خلفاء النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة أهمية الزراعة فأولوها العناية والاهتمام في إطار تعاليم الإسلام التي وردت في شأن الزراعة رغم أن بعضهم كان غنيا بإمكانه ألا يلتفت إليها أو منشغلا عنها، فهذا عثمان رضي الله عنه لما قيل له أتغرس بعد الكبر؟ فقال: لأنْ توافيني السَّاعة وأنا من المصلحين خير من أن توافيني وأنا من المفسدين، وكذا عبد الرحمن بن عوف رغم غناه فكان يباشر بعض أعمال الزراعة بنفسه فيحمل المسحاة بيده ويحول بها الماء حيث السقي، ومنهم من كان له السبق من الصحابة بزراعة القمح في المدينة مثل طلحة بن عبيد الله فيجني منه ما يكفل حاجة أهل المدينة في السنة وهو مردود معتبر لا يستهان به أغناهم عن استيراد القمح من بلاد الشام.

حتى أن بعضهم كان يرى في الزراعة معيار للمروءة فقد سئل أبو هريرة رضي الله عنه عن ذلك فقال: تقوى الله وإصلاح الضيعة.

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أتيت أرضا قد خربت وعجز عنها أهلها فكرست انهاراً وزرعتها، فقال علي: (كل هنيئاً وأنت مصلح غير مفسد، معمر غير مخرب).

وكان يقول لعماله أيام خلافته:(ليكن نظركم في عمارة الأرض ابلغ من نظركم في استجلاب الخراج، والزراعة عمارة).

وازدادت رعايتهم لشأن الزراعة سيما بعدما توسعت الدولة بفعل عملية الفتوح واستقرت أمورها السياسية بعد القضاء على المرتدين ورجوع الوحدة السياسية في الجزيرة التي شكلها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، واتضحت أشكال ملكية الأرض المفتوحة ، وتيسير ملكيتها وتعميرها وزرعها.

وصار الاهتمام بالزراعة شأن من شؤون الدولة ولذلك لعلاقة الازدهار الزراعي وموارد الدولة فضلا عن أهميتها في تحقيق الأمن الغذائي، فاهتموا بإصلاحِ وسائل الري وصيانتها، وبناية السدود وشق القنوات وحفر الأنهار وإقامة الجسور والقناطر.

ثانيا: العصر الأموي

يعد العصر الأموي امتدادا طبيعيا للدولة الإسلامية في العهد الراشدي من حيث جغرافيتها ومقدراتها الاقتصادية والمالية وتركيبتها البشرية ، فما حدث من تطور إنما هو بفعل درجة التحضر التي تمر بها الدولة الإسلامية أو ما حدث من تغير بفعل عمليات الفتح الإسلامي شرقا وغربا، وما حدث من تطورات فقد أملتها حتمية الظروف السياسية والاقتصادية و الاستقرار والرخاء، ولا يكون ذلك كله إلا إذا كانت الدولة في وضعية مالية مريحة لذلك اهتم الأمويون بالزراعة واستصلاحها لزيادة الإنتاج فيزداد خراج الدولة.

من أجل ذلك اهتم الأمويون بأنظمة الري فأقاموا الجسور وبنوا السدود وشقوا الترع وحرصوا على تنظيفها وصيانتها في كل موسم وعمروا القناطير والنواعير والطواحين، وأنشأوا تقنيات لقياس منسوب ارتفاع المياه.

فقد بنى معاوية بن أبي سفيان مقاييس أنصنا ، وحلوان في عهد عبد العزيز بن مروان والروضة سنة 97 هـ في عهد أسامة بن زيد.

وقد قاموا بحفر العديد من الأنهار فقد حفر يزيد بن معاوية نهرا في لحف جبل قايسون بدمشق كما أجرى فرعا من نهر بردى الذي عرف فيما بعد بنهر يزيد وقد ساعد هذا النهر على انتشار الضياع الخضراء وتعمير أعالي الجبل المطلة على المدينة كما شكل موردا مهما لساكنة الجهة الشمالية من دمشق والذي ظلت مجاريه متدفقة.

وحفر الحجاج بن يوسف الثقفي نهر الصين قرب كسكر وواسط ونهر الزابي وأجرى من هذين النهرين قنوات للسقي ما حولهما من مزارع، وأعاد تأهيل السدود التي أقامها عبد الله بن دراج الذي تولى جباية الخراج على أيام معاوية بن أبي سفيان على نهر دجلة وقنو وقام هشام بن عبد الملك (105-125هـ) بحفر نهر بالِس على نهر الفرات بين الرقة وحلب ،وحفر نهري (الهَنيء والمريء) واستزرع الضيعة التي بينهما على نهر الفرات في

سورية، والتي عرفت بهذين الاسمين (الهنيء والمريء)واستصلاح أرض البطائح مما أتاح استغلال تلك الأراضي زراعيا.

كما قام خالد بن عبد الله القسري والي هشام على العراق ثلاثة أنهار الجامع ونهر خالد والمبارك وأنفق على ذلك نفقات كبيرة استكثرها وكتب إليه منكرا عليه الأمر.

كما شيد الأمويون العديد من السدود في أودية الطائف والمدينة ومكة للري واستصلاح الأراضي بغرض تأهيلها للزراعة ومن هذه السدود ما شيده معاوية بن أبي سفيان السد على وادي لية ومازال هذا الوادي تتدفق مياهه إلى يومنا هذا ومازال السد الى يومنا هذا ، وسد معـــاوية بين المدينة ومهد الذهب وغيرها من الـسدود على وادي العقـيق قرب المدينة، وبنى الحجاج ثلاثة سدود أثناء ولايته على مكة واحد بالمزدلفة والآخران في منى.

كما قام الأمويون ببناء الجسور على القناطر والأنهار التي تمر بالمدن، وإصلاح المتهالك منها فقد أصلح زياد بن أبيه قنطرة الكوفة وأعاد ترميمها ، كما أنشأ خالد بن عبد الله القسري قنطرة على نهر الكوفة.

وفي مصر سنة 69هـ ، فقد بنى عبد العزيز بن مروان قنطره في أطراف مدينة الفسطاط، و بنى محمد بن القاسم جسرا على نهر السند الذي اتخذه جيشه معبرا من غرب إلى شرق نهر السند قبل التحامها مع جيش راجا داهر آخر حاكم هندي للسند وأجزاء من البنجاب قبل الفتوحات الإسلامية في شبه القارة الهندية، بعد أن غزا بلاده محمد بن القاسم الثقفي.

وفي الأندلس قنطرة قرطبة التي تعد من المعالم المهمَّة تقع على نهر الوادي الكبير، وقد عُرفت باسم (الجسر)، طولها أربعمائة متر تقريبًا، وعرضها أربعين مترًا، وارتفاعها ثلاثين مترًا وقد بنيت في عهد السمح بن مالك الخولاني صاحب الأندلس بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة 101 هـ.

ومن أبرز المحـاصـيـل الزراعيـة التي تمـت زراعتهـا في الـدولـة الأموية الحمضـيات والقطن وقصـب السـكر والذرة البيضـاء والحبوب والبقول والكروم والفستق والزيتون والنخيل والأرز وغيرها.

ومن أبرز المناطق الزراعية التي زُرعت وعنيَ بها هذه المزروعات مصر خصوصاً على ضفاف نهر النيل والعراق وبلاد الشام (غوطة دمشق) .

كما أن من الأراضي الشهيرة التي استصلحها وزرعها الأمويون أرض الموات في الشام التي زرعها معاوية بن أبي سفيان بعد تأهيلها وإزالة العوائق عنها فجعل منها بساتين خضراء.

ثالثا: العصر العباسي

عني العباسيون بالزراعة على غرار أسلافهم الأمويين وذلك لأهمية هذا القطاع في التنمية الاقتصادية وتحقيق الأمن الغذائي لذلك كانت السلطة العباسية تشرف بنفسها على إدارة أراضي الدولة الصالحة للزراعة مثل الواقعة بين نهري دجلة والفرات التي كانت تعد من أخصب الأراضي، فشجعوا على زراعتها وعملوا على تنشيط حفر الترع ومد القنوات والمصارف وإقامة الجسور والقناطر فامتدت فيها شبكة من وسائل الري فعمت الحقول والبساتين.

كما اهتم الخلفاء العباسيون بإقامة مشاريع التنمية الزراعية في مجال الري لسقي أرض السواد التي كانت تشكو عجزا في منسوب المياه المعدة لسقيها من ماء الفرات ويتضح ذلك من خلال سياسة أبي جعفر المنصور في هذا المجال بشق العديد من الجداول والترع وتخزين مياه نهر دجلة لإرواء الأراضي الواقعة على شواطئه الغربية، كما قام بمد قنوات تتزود بالماء من دجلة والفرات وتوصيلها إلى مدينة بغداد فيصل إلى شوارعها و ودروبها و أرباضها إلى جانب نهر عيسى الأعظم الذي يستمد ماءه من نهر الفرات ويتفرع منه أنهار أخرى تمر ببغداد، كما وصل الكرخ من نهر القلائين والبزازين ونهر الدجاج.

ونظرا لتوفر مياه السقي من جراء المشاريع التي قام بها الخلفاء في جميع أرباض بغداد قام أهالي بغداد بزراعة النخيل والأشجار وانتشرت البساتين والحقول والحدائق التي كانت حكرا على البصرة والكوفة وأرض السواد لوفرة المياه.

وقد استفادت الزراعة من الخبرات الفنية التي توصلت لها العلوم المتعلقة بشؤون الزراعة والفلاحة في العصر العباسي التي قامت على التجارب العلمية بفعل ما توجت به

النهضة العلمية في مختلف المجالات التي تضمنت البحث في مجال التربة وأنواعها والنباتات والأشجار واهتدوا إلى أنواع الأسمدة المناسبة لها.

لذلك اهتم العباسيون بالفلاحة العلمية التجريبية، فلم يقتصروا على النظريات الزراعية فقد رافقت ملاحظاتهم العلمية الزراعية من أولها إلى آخرها منذ بداية الحرث وإعداد التربة ورعاية الزرع ثم الجني و الحصاد والتخزين ومعالجة ما يحل بالمزروعات من الآفات والأمراض والجوائح، ثم تحويل المزروعات الصناعية.

كما استعان العباسيون بالخبرات الأجنبية في هذا المجال من خلال حركة الترجمة التي نشطت في هذا العصر بفعل الاستقرار السياسي والتطور الحضاري غالبا حيث لا ضير في أن الحضارات الإنسانية يرث بعضها بعضا ، فقد أخذ المسلمون عن غيرهم كما أخذت كل أمة عن غيرها ، لكن ما اكتسبه المسلمون من بعض الخبرات فقد هذبوه وأخضعوه لمرجعية الإسلام حتى خرج مصطبغا به متميزا عن غيره روحا ومبنى ، لذلك يمكننا أن نلحظ بأن مؤلفات المسلمين الزراعية قد مرت بمرحلتين أو قسمين:

- قسم تمت ترجمته وتعريبه عن اليونانية.

- قسم مؤلف بالعربية.

أما القسم الأول فهي كتب ترجمت إلى العربية مثل كتاب ديموقراط الرومي من القرن الثاني قبل الميلاد وكتاب لـقيندانيوس أناطوليوس البروتي، من القرن الرابع الميلادي، وآخر لـلكسيانوس ياسوس من القرن السادس الميلادي، وكتاب الفلاحة النبطية الذي نقل من السريانية إلى العربية في مطلع القرن العاشر الميلادي فما وافق بحوثهم وأيدته التجارب طوروه وزادوا عليه وما دون ذلك تركوه جانبا وبينوا عدم صوابه.

ومن أهم هذه المؤلفات كتاب الفلاحة النبطية الذي أخذ من اللغة السريانية وترجم إلى العربية ، كان من أهم ما اعتمد عليه المسلمون في مصنفاتهم في باب الزراعة لأنه تكلم عن علوم شتى، فقد ورد فيه الحديث عن زراعة الأزهار والأشجار المثمرة والحبوب والبقول، وفي استخراج المياه من الأرض وتطعيم الأشجار وكيفية صناعة السماد ومشاتل لبعض المزروعات، ومعلومات أخرى كثيرة حول سائر أعمال الحقل مبنية على خبرة ودراية وممارسة طويلة لرعاية الأرض والنبات.

أما القسم الثاني :

فقد ألف أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (282هـ) كتابه المشهور (كتاب النبات) وقد كان نحويا ولغويا ومهندسا وفلكيا أخذ علمه عن البصريين والكوفيين ، وقد رتب أبو حنيفة في كتابه هذا النباتات على حروف المعجم وصنف في كل ما يتعلق بها نثرا وشعرا إلى أواخر القرن الثالث الهجري كما تضمن هذا الكتاب وصف لبضع مئات من النباتات التي شاهدها بنفسه أو بلغه عن أحوالها من الثقات، وقد زاد فيه بعض الإضافات ما نقل عن زياسقوريذوس العالم الإغريقي المشهور بدرايته بعلم النباتات الطبية إضافات هامة، فأصبح بذلك من أشهر الأطباء والعشابين، ونقلت عنه أكبر كتب الصيدلة كمفردات الأدوية التي وضعها ابن البيطار.

كما ذكر الدينوري أيضاً في بعض أجزاء من كتابه "كتاب النبات" عن بعض علوم الأرض وعلاقتها بالزراعة كعلوم مساعدة لتنميتها وازدهارها، حيث استعرض فيه بالحديث عن الأرض والصخور والرمال وغيرها، ووصف أنواعاً مختلفة من التربة ومكوناتها، موضحاً فائدة كل نوع منها في الزراعة وأيها أكثر ملائمة لنمو النباتات، كما تحدث عن خصائص ومحاسن التربة الجيدة الملائمة لنمو النبات.

كما ضمن الدينوري في جزء من "كتاب النبات" الحديث عن كيفية تطبيق علم الفلك الإسلامي وعلم الأرصاد الجوية في ومراعاة ذلك في مجال الزراعة. ويصف الخواص الفلكية والجوية للسماء والنباتات والشمس والقمر، كما يصف مراحل القمر وتوضيح الفصول والمطر ، وشرح الظواهر الجوية كالرياح والصواعق والبرق والثلج والفياضانات والوديان والأنهار والبحيرات والسدود ومصادر المياه المختلفة.

وإلى جانب ذلك فقد كان لعلماء آخرين مساهمات هامة في مجال التصنيف والبحث في شؤون الزراعة من أمثال ابن العوام وكتابه (كتاب الفلاحة) الذي قام بعدة تجارب في الزراعة ودون ما توصل إليه في كتابه الذي ترجم إلى عدة لغات أجنبية وقد حوى هذا الكتاب ثلاثون فصلا عن الزراعة يستعرض فيه مختلف شؤونها فيما يتعلق بالأرض

والأسمدة والماء والأشجار وما يتعلق بها من حيث التطعيم والتقليم، وكيفية مكافحة الأمراض الزراعية وغيرها من التقنيات.

ومن العلماء المسلمين أيضا ممن برعوا في علم النبات رشيد الدين المتوفى سنة 629هـ صاحب كتاب (الأدوية المفردة)، وكان كثير البحث و التدقيق حول نمو النباتات وله كتاب يسمى أحوال النباتات، وغيرهم من العلماء المسلمين الذين برعوا في هذا المجال.

ومن اهتمامات العرب والمسلمين بشؤون الزراعة فقد بحثوا في شأن الأمراض المتعلقة بها ووسائل مكافحتها اهتدوا من خلال عملية البحث والتجريب إلى استعمال بعض المواد الكيمائية كمبيدات للحشرات الضارة والسيطرة عليها،واستعمال الطعوم السامة للقضاء على الفئران والقوارض والخنازير والجراد وغيرها من الحيوانات الضارة.

كما استعملوا المبيدات الحيوية كاستعمال الحشرات لافتراس أخرى تلحق الضرر بالأشجار المثمرة والنخيل، واستخدام المواد الكيمياوية الطيارة كالدخان الذي يصدر موادا كيميائية قد تكون من أصل نباتي غير مضرة ولا سامة ليس لها أي تأثير سلبي على صحة الإنسان ولا الحيوان لطرد الحشرات التي تسبب أمراضا للنبات أو تتطفل عليه غذائيا.

الإنتاج الزراعي:

أما المنتجات الزراعية في العصر العباسي فكانت تختلف من منطقة إلى أخرى فالحنطة التي تعد مادة أساسية يتوقف عليها أغلبية قوت العامة فقد كانت تزرع في أغلب بلاد الدولة العباسية سيما في المناطق التي يكون فيها منسوب الماء متوفرا، وكذلك الذرة لكن أغلب المناطق التي كانت تزرع فيها بشكل حصري تقريبا هي جنوب الجزيرة العربية.

إلى جانب ذلك فقد كانت زراعة الشعير والأرز والنخيل والأشجار المثمرة رائجة في أنحاء الدولة، كما اهتم المزارعون العباسيون بزراعة الكروم بشكل كبير في جميع الأقاليم، وزراعة أشجار التفاح التي كانت تشتهر بها بلاد الشام ، وأشجار الزيتون بفلسطين ، وقصب السكر بالبصرة وصور الذي بلغ شهرة كبيرة في العصر العباسي الأول.

ومن الفواكه النارنج الذي تم جلبه من الهند ثم زرع بالعراق والشام وعمان ، والخوخ بمكة ، والبطيخ والرمان بالعراق بالإضافة الى مزروعات مختلفة كالتمور والأرز والذرة وغيرها.

بعض المصادر والمراجع:

المصادر:

- ابن آدم، يحي القرشي (203ه/818م)، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

- ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد (ت 580هـ/1184م)، الفلاحة، تحقيق دون جوزيف انطونيو بانكورد، مدريد، (د.ط) 1802م)، ج1.

- الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت216هـ/ 831م)، كتاب الإبل، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر، سوريا، ط1، 2003م.

- ابن ليون التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة –نص أندلسي العصر المرابطي-، دراسة وتحقيق د.أحمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1422هـ/2001م.

- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (831- 906هـ/ 1428-1501م)، تحرير الجواب عن ضرب الدواب، تحقيق وتعليق أبو عبيدة مشهور حسن، أبو حنيفة السيقرات، بحث منشور في مجلة الحكمة، جمادى الأولى، 1415هـ، ع4.

- الطغنري، أبو عبد الله محمد بن مالك (ت501هـ/1108م)، زهرة البستان ونزهة الأذهان، تحقيق محمد مولود خلف المشهداني، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط(2005م).

- النابلسي، عبد الغني النقشبندي (1050-1143هـ/1640-1730م) علم الملاحة في علم الفلاحة، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2(1981م).

-ابن الأثير:الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، بيروت-لبنان، 1965 م.

-الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله :أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ط2 ، درا الثقافة، مكة المكرمة– السعودية، 1965 م.

-الدينوري، أبو حنيفة :الأخبار الطوال، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2001 م.

-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:تاريخ الأمم والملوك، دار سويدان، بيروت – لبنان، د.ت.

المراجع:

-اسماعيل محمود: تاريخ الحضارة العربية الاسلامية.
-وصفي محمد مهدي: ملكية الأرض والثروات الطبيعية.
- الاعظمي الكبيسي: دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي.
- // : تاريخ الري في سهول الرافدين.
-بطانية عبد الحميد محمود: الحرية الاقتصادية في العصور الإسلامية الاولى.
- حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام.
- حسين فالح : الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي.
- حسان حلاق : دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية.
- الخربوطلي: الحضارة العربية الاسلامية.
- خماش نجدت : الشام في صدر الاسلام.
- عبد العزيز الدوري مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي.